

The Novel of Khadija and Sawsan by the Novelist Ridhwaashour in the Light of Feminist Criticism

Hawraa Aziz Aleewe

Department of Water Resources /Faculty of Water Resources Engineering

Management Engineering /Al-Qasim Grean University

hawraaalkaim@gmail.com

Submission date: 22 /7/2018

Acceptance date: 9 /9 /2018

Publication date: 17 /12/2018

Abstract

The research involves femininity, she began to talk and explore what was inside the female who had acquired the narration, as for the man, we found him a home, allowing the woman to speak for herself and on his behalf, it is not new to us, especially since history has borne us a model witnessed by the shahriar hearing of the stories of Shahrazad and his passion for the stories of fiction I signed him in the captivity of the hidden secrets he does not know its meaning nor its essence the narrative of the female has a narrative of what it entails what her life involves stories and secrets the community does not allow it to lead what is inside it, because it is a taboo that is silent, and the novel that we are studying reveals to us the patterns rooted in the core of the Arab society, which tries to model women and the formulation of the template is not as she wants as a human being practicing his life freely, despite the evolution of the modern era and the emergence of changes in the perception of women, but we find that there are still cultural roots that treat women less than men or rather that the restrictions imposed on them make us forgotten, this is what Khadija and sawsan told the novelist rizwaashour, this novel will allow us to identify a reality in which some distortions are governed by the masculine view embedded in the community culture, this study was studied in the cultural patterns inherent in the women's ability to escape or free from the traditions and societal norms.

Keywords: a theoretical introduction to feminist criticism, female rebellion on the prevailing cultural, cultural modeling and subordination of women, image and its significance in the novel, women and male culture.

"رواية "خديجة وسوسن" للروائية رضوى عاشور في ضوء النقد النسوي"

حوراء عزيز عليوي

كلية هندسة الموارد المائية / قسم إدارة الموارد المائية / جامعة القاسم الخضراء

الخلاصة

ينطوي البحث على خصوصية نسوية، شرعت لنفسها الحديث واستجلاء ما في داخل الأنثى التي استحوذت على السرد، أما الرجل فقد وجدناه منزويًا سامحاً للمرأة أن تتكلم عن نفسها ونيابة عنه، هو أمر ليس جديداً علينا، خصوصاً أن التاريخ حمل لنا نموذجاً شهده استماع شهریار لحديث شهرزاد وشغفه بما تسرده من حكايا تخيلية أوقعته في أسر ما تخبئه من أسرار لا يعلم كنهها وجوهرها، وقد باحت الروائية على لسان الأنثى سرد ما تنطوي عليه حياتها من حكايا وأسرار لا يسمح المجتمع لها أن تقضي ما في داخلها كونها من التابو، والرواية التي نحن بصدد دراستها تكشف لنا عن أنساق متجذرة في صلب المجتمع العربي الذي يحاول نمذجة المرأة وصياغتها على قلبه هو لا كما تريد هي بصفتها انساناً يمارس حياته بحرية، وعلى الرغم من التطور الذي حدث في العصر الحديث ونشوء تغيرات في النظرة إلى المرأة لكننا نجد أنه ما زالت هناك جذور ثقافية تعامل المرأة بدرجة أدنى من الرجل أو بالأحرى إن القيود المفروضة عليها تجعلها كائنًا هامشيًا منسياً، وهذا ما عبرت عنه رواية "خديجة وسوسن" للروائية رضوى عاشور، إذ سنتيح لنا هذه الرواية التعرف على واقع فيه بعض التشوهات تحكمه النظرة الذكورية المنغرس في الثقافة المجتمعية، وقد تناولت هذه الدراسة البحث في الأنساق الثقافية الكامنة، وقدرة المرأة على الانزواء في ظل المجتمع أو التحرر من التقاليد والأعراف المجتمعية.

الكلمات الدالة: مقدمة نظرية في النقد النسوي، التمرد الأنثوي على الأنساق الثقافية السائدة، النمذجة الثقافية وتبعية المرأة، صورة المرأة الثقافية ودلالاتها في الرواية، المرأة والثقافة الذكورية.

١. المقدمة:

أخذت الرواية النسوية تمنح المرأة دوراً فعالاً في النصوص الأدبية بوصفها عاملاً منتجاً في المجتمع، فضلاً عن الأفكار والرؤى المطروحة التي كسرت النمطية المعهودة عن المرأة، وقد تجلت هذه الصورة في الروايات التي لاءمت التعبير عما يعتمل في داخل المرأة، وساءلت المرأة نفسها بوصفها كائناً يعيش عما يمكن أن يجعلها صورة فاعلة ومهيمنة في المجتمع، وعلى الرغم من وجود العديد من العقبات التي اعترضت المرأة لكنها تمكنت أن تكسر الحواجز المصطنعة، وتهيئ لها أرضية ملائمة للارتقاء بوضعها، وقد ركزنا في دراستنا على النقد النسوي بوصفه "منهجاً في تناول النصوص والتحليل الثقافي بصفة عامة" [٢٥، ١]، مثلما تركزت دراستنا على الصورة التي تشكلت بها المرأة في النص الروائي، واللغة الروائية المهيمنة بوصف أن الساردة امرأة تتقن لغة السرد وتتقن لا في عرض وجهة نظرها فحسب وإنما تستبطن ما في داخل المرأة من رؤى قد تبدو غير واضحة الملامح بالنسبة لنا، فلغتها تظهر وتبطن، وتكتم وتبوح، وسنحاول من دراستنا أن نكشف عما هو مستور ومخفي في جدلية اجتماعية ثقافية مهيمنة، ألا وهي الذكورة والانوثة وسيطرة القيم والمعتقدات وهيمنتها على صورة المرأة، وظهور صورة جديدة تبشر بتمرد الأنثى على الصورة المهيمنة لتكون لنا أنموذجاً ثقافياً يُحتفى به في إطار المجتمع.

وإن هذه الدراسة تسعى إلى مقارنة العلاقة بين الأم وبناتها من أجل "إعادة بناء رؤية للعلاقات الإنسانية" [٢٦، ٢] لتتعلق الرؤية النسوية في إطار تلك العلاقة وتغوص في فضاء الأنثى الرحب وأحلامها في الصعود للقمة لتكون شيئاً يُذكر لا جسداً يغوص في قعر النسيان.

٢. مقدمة نظرية في النقد النسوي:

حفل النقد النسوي باهتمام النقاد والباحثين كونه يبحث عن الاختلاف ونقاط القوة الذي يتمتع به أدب المرأة، ونجد أن قضية المرأة وأدبها كان مثار جدل وإشكالية من العديد منهم، فضلاً عن ذلك فإن ارتباط الأدب بجنس كاتبه قد يوحى بأشكالية معقدة نوعاً ما.

وإذا ما علمنا أن القضايا النسوية "تتشابك فكراً وسلوكاً في كل الثقافات المعاصرة، في الإبداع الأدبي والنقدي كما في الفلسفة والتشريع" [٣١-٣٢]، أدركنا أهمية النظر إليها " نظرة علمية عميقة لارتباطها بكل مجالات الحياة العامة والخاصة" [١٠٥، ٤].

وقد سبق أن أشار القرآن الكريم على لسان امرأة عمران عندما ولدت مريم إلى الاختلاف الجنسي بين الذكر والأنثى في قوله تعالى: " وليس الذكر كالأنثى" [٣٦، ٥]، وهذا يشي بالفروق البايولوجية بين كل من الذكر والأنثى التي تتحدد على أساسها الوظائف الدينية والاجتماعية التي يقوم بها فضلاً عن الدور الثقافي في ترميز علاقة الرجل بالمرأة.

وقد أثرت الحركة النسوية التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تأثيراً هائلاً على النظرية النقدية، إذ " يتداخلان في مفهوميهما" [٢٤، ٦] فشكلا صياغة واحدة (للحركة النقدية النسوية) .

والنظرية النقدية سياسة جنسية [١٥١، ٧]، فالجنسي والسياسي يرتبطان إلى حدٍّ يصعب معه تمييز أحدهما عن الآخر، فالثقافات التي تجسد فيها علاقة السلطة وحددت هوية الرجل ورجولته بقدرته على إخفاء المؤنث والتحكم فيه، ولا تستشعر الحاجة إلى التحلي عن ذلك [٤٥، ٨].

وقد أثبتت الحركة النسوية قدرتها على أن تهضم ما تحتاجه من مجال كامل في النظريات الأخرى من مثل الماركسية ونظريات ما بعد الحداثة والتفكيكية... الخ [١٥١، ٧]، ولكنها في المقابل ثارت على مقولات

فرويد^[٣، ١٤١ - ١٤٢] وتتبع (نظرية لاكان) التي أعادت صياغة نظريات فرويد، وأفادت من الماركسية حين حاولت بعض النسويات ربط تغير الظروف والعوامل الاجتماعية بتغير موازين القوى بين الجنسين^[٩، ١١]، وانجذبت الناقداً النسويات إلى نظريات ما بعد البنيوية وخاصة التفكيكية بوصفها نظرية تنتكر للتأبوت والمحددات وتمتلك نزعة تدميرية للمراكز أو القيم الأدبية المعروفة التي يهيمن عليها الرجال^[٩، ١١].

وقد مهدت هذه الحركات المطالبة بحقوق المرأة على ظهور النقد النسوي في الستينات من القرن العشرين^[١٠، ٣٢٩] وترى ميليت أن شو والتر أطلقت هذا المصطلح لتصف ما ينبغي على النساء أن يقمن به في قراءتهن للأدب^[٧، ١٥٥]، وبمعنى مثلما ترى (جوبار) أن تكون نصوص الأدب النسوي (القصصية والروائية) محل اهتمامنا بوصفها تتناول تجربة المرأة على وجه خاص .^[٧، ١٥٥]

ويتسم هذا النقد بتعدد وجهات النظر ونقاط الانطلاق وتنوعها، بالنظر إلى إفادته من نظريات عدة مثلما ذكرنا آنفاً ، ونزعة التعدد هذه تحيل إلى مفاهيم معينة تجمع هذا الشتات، من أهمها: عامل الاختلاف الجنسي في إنتاج الأعمال الأدبية، وملاحظة شكلها ومحتواها وتقييمها^[١٠، ٣٣٠]، وللنسوية تيارات متعددة، منها:

- النسويات الغربية – البيضاء.
- النسويات السود في الغرب.
- نسويات العالم الثالث.
- وكذلك (الخلفيات الثقافية) الأصغر تتعدد بسبب الانتماء الفكري ليبرالي – اشتراكي – ما بعد حداثي . وهذا التعدد يعكس وجوداً ثقافياً يكمن أحد تجلياته في النقد النسوي الذي تتعدد وسائله في النظر إلى موقع المرأة في حالات الإبداع والثقافة الذكورية^[٣، ٥٦].

ويستند النقد النسوي إلى "تقد مفاهيمي في معالجة النصوص وتفكيكها، إذ يشتغل في حقل المفاهيم وصياغتها جاعلاً من النص حقلاً تجريبياً يؤسس لخطاب معارض للخطاب الذكوري وهيمنته في صناعة وصياغة الجنس الذي يتناوله بوصفه آخر"^[١١، ١٤٢].

ويقوم هذا النقد على " تحديد وتعريف المنجز الأدبي النسوي واتصافه بسمه الأنوثية من ناحية العالم الداخلي للمرأة"^[١٢، ١٤٦]، وذلك بهدف مراجعة التاريخ الثقافي حتى يتم إدخال المرأة بعيداً عن هوامش الخطاب التي مالت السلطة الأبوية تاريخياً لأن تنفيها إليها^[٧، ١٥٥].

كما أكد ضرورة تمثيل الأنوثة وإبرازها بوصفها سمة خاصة بالمرأة، وبرزت مجموعة من النساء المناصرات لقضية المرأة، من مثل: شارلوت جيلمان، سيمون دي بوفوار، بيتي فريدان، جوليا كرستيفا، لوس اريغاري... الخ^[١٣].

وما دام لكل حركة واتجاه نقدي نظرية تؤسس عليها مفاهيمها وأسسها، فإن النظرية النسوية تدور حول الكتابات التي تصف وتشرح وتحلل ظروف حياة النساء وهي مثلما ترى (تشارلوت بنس) طريقة لرؤية العالم وتحاول أن توفر أساساً لفهم الحياة من حولنا، وإلى مثل هذا المفهوم توافق بيل هوكس (شارلوت بنس)، وتقترح النظرية النسوية استراتيجية معينة وتهدف إلى تحسين الظروف التي تعيش في ظلها النساء من ناحية العمل والمعيشة، والقضية الأساسية التي اهتمت بها النظرية النسوية هي عدم المساواة بين الرجل والمرأة أو تبعية المرأة للرجل وفرض هيمنته عليها^[١٤، ١١].

وهناك من يرى أن النسوية نعت سياسي يهدف إلى دعم حركة المرأة الجديدة، فالنقد النسوي على هذا الأساس نوع خاص من الخطاب السياسي فضلاً عن كونه تطبيق نقدي ونظري يهتم بحركة الصراع ضد

النظام الأبوي (البطريركي) وضد التمييز الجنسي، وهذا التمييز ليس المقصود منه الاهتمام بنوعية الجنس في الأدب بقدر ما هي مجرد طريقة نقدية تستعملها الناقدة حين تجد أنها منسجمة مع خطها السياسي^[١٥] وقد اهتم النقد النسوي بالإجابة عن عدد من الأسئلة والاستفسارات المتصلة بواقع المرأة الأدبي، من مثل:

- صورة المرأة التي تتجلى في أدب الرجل.
 - العلاقة بين القهر الاجتماعي الذي يمارس ضد المرأة وجنسها.
 - وكذلك نستطيع أن نقول إنَّ هذا النقد يهتم بـ:
 - صورة الرجل في أدب المرأة
 - تصوير العالم الداخلي للمرأة وشعورها وعلاقتها وتجربتها المتميزة عن تجربة الرجل.
- وهكذا يتولى هذا النقد مثلما تذكر يسرى مقدم بقراءة بنية المرأة انطلاقاً مما كتبه الرجل والمرأة حول المرأة، وتمثل الأنثى ثوب الضحية المهمشة المشيئة، المقموعة، المقصية أو الجانحة المعاقبة بإملاء وتأثير الخطاب الثقافي الذكوري الشائع عنها فيسعى النقد النسوي إلى تسليط الضوء على الابتذال لصورة الأنثوية المتجلية في الأدب، فيغاير هذا النقد السياق النقدي الثقافي الذكوري^[١٦].
- والثورية طابع مميز لهذا النقد، فهو يهدف إلى قلب أقوى هرم سلطة وهو هرم الجنس لتقويض كل أشكال التراتب الهرمي لأنه بطبيعته ضد كل هرمية وكل سلطة^[١٧].
- ويتخذ من الفوضوية (...) وسيلة من وسائل تحطيم هيمنة التمرکز حول الذكر (...) والدعوة إلى فض الأختام المفروضة على كيان المرأة وجسدها خاصة لإنتاج خطاب [نسوي] تدميري مغاير للخطاب الذكوري السائد^[١٨].

ونجد أن الكثير من الناقداً النسويات الفرنسيات ومنهن (جوليا كرسيفا) قمن بتحليل الخطاب النسوي الجديد الداعي إلى الحرية، وتحقيق ذلك يتم عبر القيام بثورة لسانية شبيهة بالثورة السياسية، ودعت (هيلين سيكوس) إلى تجاوز قوانين الخطاب النقدي المؤلف وأن تؤسس المرأة لنفسها لغة خاصة تكون قادرة على النفاذ إليها^[١٩]، وإنَّ اضطهاد المرأة إنما كان من خلال اللغة التي هيمن عليها الرجال^[٢٠].

وتميز (فرجينيا وولف) في كتابها "حيز خاص بي" بين كتابة المرأة وكتابة الرجل، فنقول إنَّ: "الجملة اللغوية التي يستخدمها الرجل في كتابته هي (جملة الرجل)، ويمكن للمرء أن يرى في خلفيتها الميراث الكتابي الخاص بالرجال على مدار العصور، ومن ثم فإنَّ المرأة تجد أنَّ هذا الميراث غريب عنها، لا يناسب التعبير عن تجربتها. وترى وولف أنَّ الحرية وامتلاء التعبير ضرورية للفن بل هي بمثابة الجوهر بالنسبة له، لكن غياب هذين الشرطين عن كتابة المرأة نابعان من عدم وجود ميراث كتابي نسوي، ما يؤدي إلى افتقاد الأدوات والوسائل الضرورية لكي تكتب المرأة نصها"^[٢١].

وترى (روبن لاكوف) أنَّ تميز كتابة المرأة عن كتابة الرجل لا يتعلق بالأمر البيولوجية بل لأنها تعيش تجربة اجتماعية متميزة^[٢٢].

أما (الان سيكوس) فقد تضمن مقالها "ضحكة مديوسا" بياناً رسمياً للكتابة الأنثوية دعت فيه المرأة لأن تضع جسدها في كتابتها، تقول: "اكتبي نفسك، يجب أن يسمع جسدك، عند ذلك فقط ستتدفق إمكانات اللاشعور الهائلة فيك، فليس هناك عقلاً أنثوياً، كوني شاملة"^[٢٣]، وقد أفضى هذا إلى عد جسد المرأة محوراً مركزياً وبرز بوصفه موضوعاً أدبياً استأثر باهتمام الأدب النسوي^[٢٤].

وبذلك فقد جسدت مؤلفات الناقدات النسويات الطريق أمام الكاتبة الأدبية لأن تختط لنفسها كتابة خاصة تميزها عن كتابة الآخر/ الرجل، صورت فيه تجربتها.

وإنَّ هذا النقد تمكن من تحديد " سمات خاصة بلغة المرأة، والاسلوب الأنثوي، وما فيه من صور مجازية وخيالية، وذلك من خلال التأمل الموصول في الأعمال التي تبدها المرأة"^[٢٠]، لذلك كانت اللغة محوراً أساسياً للتحليل النسوي^[١٤،٩٤]، ومن المظاهر التي تجلت في النقد الأدبي النسوي (الجنس/ gender) الهوية الثقافية وهو مفهوم تمحورت حوله الدراسات النسائية في المجالات كافة بوصفه عاملاً تحليلياً يكشف الفرضيات المتحيزة المسبقة في الفكر الغربي خصوصاً والثقافة عموماً^[١٠،١٤٩].

ويهتم هذا المفهوم باستخلاص الهوية الثقافية للمرأة من النص^[٢١]، ومن الطبيعي أنَّ الجنوسة/ الجندر تترك أثرها في النصوص الأدبية^[٢٢].

ويرى دارسو الجنوسة أنَّ " الفرق بين الرجل بصفاته الايجابية والمرأة بسماتها السلبية (مما ينجم عنه الهرمية الضدية بين الذكر والأنثى)، إنما هو فرق أيديولوجي ثقافي اجتماعي دافع عنه المجتمع والثقافات المختلفة بقوة القانون والسلاح، كما أنَّ الضغط الاجتماعي والثقافي يؤسس (بنية الجنوسة) ويجيز الدور الذي سيلعبه كل من الطرفين. وبهذا فإنَّ الثقافة وليست الطبيعة البيولوجية، هي التي تضع قيوداً ومحددات حتى على طرق التفكير والإبداع والسلوك"^[١٠،١٥١].

مما تقدم نجد أنَّ الحركة النقدية النسوية قد أدت دوراً هاماً في كشف أوجه الصراع الاجتماعي والثقافي بين الرجل والمرأة الذي أوجدته المؤسسة الذكورية ورسخت مفاهيم خاطئة عن دور المرأة وكونت مفاهيم سلبية عنها فضلاً عن ذلك فقد حدد النقد النسوي ما تمتاز به لغة المرأة وأسلوبها عن الرجل، فالاختلاف رقعة يتباين من خلالها كل من الرجل والمرأة لغة وأسلوباً وفكراً وتجربة....

أما النقد النسوي العربي فهو يماثل الغربي من حيث المنطلقات والأهداف مع تباين في الثقافة والمعتقدات والبيئة، على الرغم من أنَّ رواج هذا النقد في المنطقة العربية كان قليلاً في بادئ الأمر بسبب تصنيفه حسب الهوية الجنسية، فضلاً عن كونه نقداً طارئاً على أفكار الرجال من النقاد والباحثين، ومن الطبيعي أن يحدث ذلك تعارضاً مع المسلمات المعروفة.

وقد أظهرت المرأة في أدبها "هوية وصوتاً متميزاً"^[٢٣،٢٢]، ونخص بالذكر الرواية المجال الذي أبدعت فيه المرأة لأنها منحتها فرصة في الحكي والتعبير عما في نفسها من وجهة نظرها، ولاحظنا أنَّ إبداع المرأة تلازم فيه المعيار الفني والفكري وخاصة أننا لاحظنا وجود جمالية خاصة بالأدب النسوي تتبع من كون رؤية المرأة شديدة الخصوصية من حيث التكوين الاجتماعي والثقافي الخاص بها والذي قد لا يسعف الرجل على معالجة صورة الشخصية النسوية في أدبه .

ومن الشخصيات النسوية اللاتي لاحظنا أنَّ لهنَّ أثراً في المشهد الثقافي العربي: نوال السعداوي فاطمة المرنيسي، غادة السمان ... الخ، وكانت لكل واحدة منهن بصمة في التاريخ الثقافي النسوي يشهد على ذلك مؤلفاتهنَّ وحضورهنَّ الثقافي.

٣. التمرد الانثوي على الأنساق الثقافية السائدة:

عندما تحاول المرأة أن تهيمن في الخطاب النصي وتحوز على لغة السرد، فإنَّما ذلك يعكس وجود قوة مهيمنة خارج النص تحاول أن ترحل المرأة وتفرض وجودها عليها بوصفها من وجهة نظره كائناً ناقص الاهلية ويحتاج إلى مَنْ يدلّه على الطريق، وهذا الامر يتجلى بوضوح في رواية (خديجة وسوسن)، إذ تبرز

البنات (خديجة) في محاولة منها لكسر النسق المهيمن لتظهر لنا في بداية السرد بوجه جديد وجريء، وتمارس أفعالاً يقوم بها الذكر، فهذه البنات وعت على أخيها وصديقه اللذين كانت تلعب معهما ألعاباً صبيانية يمارسها الذكور من مثل (كرة القدم) ووجدت المرأة لتلعب معهما دوراً طفولياً جديداً ألا وهو دور (الملكة) لكن المعارضة بدأت من الصبيين اللذين رفضا أن تلعب هذا الدور تحركهما طبيعة المجتمع وأنساقه الذكورية وإرادتهما أن تكون خديجة هي "الجارية"، وأول فعل قامت به البنات هو التمرد عليهما ورفضها أداء هذا الدور لتتصرف للرسم^[٢٤،٧]، وتتساءل الانثى عن سبب تصرفاتهما اللامعقولة فتقول: "الاثنان أصغر مني فلماذا لا ينفذان ما أقوله"^[٢٤،٧]، إن تحليل الساردة يوضح لنا أن الذكر لم يكن أعلى شأنًا من الأنثى في المقام الاجتماعي والثقافي، وإنما تتفوق هي عليهما من الناحية الثقافية؛ لذلك عندما تأخذ الأنثى دور "الملكة" في اللعبة فإنها تعزز من ذلك سلطتها وهيمنتها، ولكن الآخر متمثلاً في الذكر يحطم شعور الانثى بنشوة الانتصار والفخر من إعلانها دفن الملكة، لتقابله هي بدورها بالرفض ...

إن التمرد يحيي في المرأة الشعور بالهيمنة والقوة، وفي الوقت نفسه يضاعف من إحساسها بوجود الذات، ويغذي في نفسها أن الاختلاف بين الرجل والمرأة يرجع إلى "ظروف اجتماعية وسياسية وتاريخية وليس لأسباب بيولوجية أو طبيعية"^[٢٥، ٨٩]، لذلك تحاول البنات (خديجة) كسر النسق المألوف وأظهرت "عدم الإذعان لهذه البنى المجتمعية القائمة والمهمشة والمتراتب فيها الدور السلطوي"^[٢٦، ١٧٣]، فأبدت رغبة في تعلم مهنة يمارسها الرجل ألا وهي (النجارة)، وهذا الأمر يعد سابقة خطيرة وجرأة لم نجد لها مثيلاً في سياق حراك المرأة في المجتمع، ونجد أن (خديجة) في لا وعيها مدفوعة بهذا التمرد لتثبت لتلك الذات جدارتها، وانها ليست بمنأى عما يقوم به الرجل، لذلك عندما يرفض النجار طلب خديجة بالعمل في النجارة يضحك، ويفهمها أن هذا ليس من اختصاص عمل النساء، فتتساءل خديجة بالقول: "قال إنها ليست شغلة نسوان فلماذا لا تكون كذلك"^[٢٤، ١٤].

بإصرارها على والدها تمكنت بالفعل من تعلم هذه المهنة من النجار وأثبتت لهم مهارتها في العمل، وقد شكّل هذا تحدياً ناجعاً، ولكنها منعت بعد ذلك من مزاوله هذه المهنة لاعتبارات اجتماعية^[١٥، ٢٤ - ١٦]، أثناء تعلم خديجة/ البنات النجارة تتجلى لنا ملامح قوتها وقدرتها على تحدي المجتمع بإظهار أن المرأة بإمكانها أن تقوم بأعمال يظن المجتمع أنها مستحيلة على المرأة لأنها من اختصاص عمل الرجل . وفي إطار اقترابها من الذكر/العامل في محل النجارة لتعليمه القراءة والكتابة ودعوته إلى منزل العائلة كان الوقوف بوجهها ومنعها من مزاوله عمل النجارة هو الحل .

إن هذه الأفعال التي قامت بها الساردة تشكّل تحدياً ملموساً ويقظة للأنثى التي تظن نفسها امرأة لا تحسن سوى مزاوله الطبخ وأعمال المنزل، وهذه الحركة التمردية التي قامت بها ما هي إلا علامة وجودية على حراك الأنثى، وهي بهذا يمكنها من فرض هيمنتها في المجتمع وتأكيد ذاتها في المجتمع الذي همشها ويمارس تهميشها بحجة أنها أنثى ...

ويشكل السرد أحلام (خديجة) التي تنتقل بمخيلتها من حلم إلى آخر، وتبدو هذه الأحلام ذكورية لأن من قام ببطلتها في الحقيقة هو الرجل، فمن حلمها لأن تكون صيدلانية كوالدها إلى بطلة رياضية ويتحول هذا الحلم إلى محاولة استكشاف العالم والانتقال من بلد إلى آخر في سفينة تنقلها أمواج البحار، ولعل هذه

^[٢] رسم خديجة يعبر عن رغبة الانثى في السيطرة والتحكم والرغبة في قيادة سفينة الحياة المتموجة .

الرغبة الدفينة في الآخر، وعندما تصل الأنثى إلى جزيرة في إحدى رحلاتها الخيالية الحلمية نجدها تصف أحاسيسها ومشاعرها بأوصاف متنافرة ومتضادة لتعبر لنا عن الأهوال التي تصادفها في رحلتها فما بين الخوف والضحك والغابة وتسلق الجبال والشعور بالعطش في الصحراء يتجلى لنا عمق رغبة المرأة في المغامرة والتحدي، ويشير "الصندوق المغلق" الذي تخفي فيه خديجة أشياءها إلى الأسرار التي تخفيها ولا ترغب أحد في أن يطلع عليها بقدر ما لتثبت حبها للسيطرة لأنها في خيالها الأنثوي ملكة لها حب الزعامة وبسط النفوذ أو إلى الأحلام التي ترغب في تحقيقها على أرض الواقع، تقول: " ويكون كل شيء مسجلاً بالرسم والكتابة في الأوراق المحفوظة في الصندوق المغلق بقفل لا يحمل مفاتيحه إلا أنا" [١٣، ٢٤].

تحاول الكاتبة "رضوى عاشور" من خلال رواية "خديجة وسوسن" أن تكشف الكثير من الظواهر المسكوت عنها في المجتمع، وتستنتق "خديجة" الطفلة وتطرح على لسانها العديد من الاسئلة التي تحتاج الى إجابة، ولكن المرأة بما هي امرأة ترضخ لما يقوله لها المجتمع، بل إنه يحاول بشتى الطرق ألا يجعل المرأة تتماهى على ما هو متعارف عليه في سلوكها ونشاطها وأمنياتها التي ترغب في تحقيقها، ليقوم بشئ جزء مهم في المجتمع ويمنع أي تغيير في العرف السائد وكأنه قانون ينبغي ألا يُمس.

وتحمل تساؤلات "خديجة" للمرأة بشكل عام تثوير العديد من الأفكار، كما تحاول أن تقارن بينها وبين الرجل بين ما قامت به وما قام به هو، تقول في مقارنة بينها وبين أخيها أحمد: " أنا أكثر تفوقاً من أحمد (...). وأضمن حصول منطقتي على كأس المنطقة في كرة اليد وأنوي أن أصبح طبيبة وأعرف أنني سأتمكن من ذلك" [١٧، ٢٤]، وتحتج على قول والدتها لقولها " الولد أرحم" [١٧، ٢٤]!

وهكذا نجد أن المساحة التي تتحرك بها المرأة ضيقة بحدود ما يسمح لها المجتمع، وليس له ثقة بما تقوم به، وإن حاولت أن تتمرد على الوضع السائد فسيكون لها بالمرصاد، ولكن المشكلة تكمن في أن المرأة تنقاد لما يريده لها المجتمع دون أن تستمر في تحقيق ما تصبو إليه.

ننتقل إلى "سوسن" ابنة "خديجة" الفتاة الصغرى التي أنجبها "خديجة" بعد زواجها من طبيب جراح ولم يتسن لها أن تكمل دراستها، نشأت "سوسن" في كنف عائلتها وأكملت دراستها لتصبح محامية، لكن الملاحظ أن "سوسن" خرجت عن نسق عائلتها ليكون تمرداً على أوضاع كثيرة بدءاً من التذمر من الواجبات المدرسية، فنقول على لسان خديجة: "أما سوسن فأعلنت تذمرها من الواجبات التي لا معنى لها ... [٢٧، ٢٤]، مروراً إلى ملاحظة "خديجة" أن ابنتها "سوسن" لا يكبر جسدها بقدر أن عقلها يكبر شيئاً فشيئاً، تقول خديجة واصفة ابنتها "سوسن": "عقلها هو الذي يكبر وعنادها انها عنيدة صاحبة متمردة ومتبرمة بداع وبلا داع" [٣٣، ٢٤].

نجد أن خديجة (البنات التي تمردت على تقاليد عائلتها والمجتمع في صغرها) تتساق إليه وتنقص — بعد أن تزوجت وأنجبت — دور أمها.

إن هذه المواصفات في الأنثى (سوسن) لا ترضي المجتمع لأنها خارجة عن السياق المألوف، فالمفروض في الأنثى ألا تكون عنيدة ومتمردة، وإنما منساقة لما يريده منها المجتمع، إذن ينبغي على المؤسسة الذكورية المتمثلة في الأم التي تشربت قيمه وأسسها أن تحاول ترويض ابنتها لتتكيف مع الوضع السائد وألا تخرج عنه، لذلك عندما تطلب "سوسن" من والدها أن يشتري لها دراجة أجابها قائلاً: " وأين تركبونها؟ مثل الناس، في الشارع" [٣٣، ٢٤]، وقد وصفها والدها بأنها بلا عقل، فهل البنات حقاً لا تفكر، أم أنها تحس أن ركوب الدراجة متعة لها كباقى الأطفال الصغار، وتطرح سوسن على والدها فكرة الاشتراك في النادي الذي وجدت فيه عائلتها منفذاً يقضون فيه أوقات فراغهم.

إنَّ التمرد ينشأ لدى الأنثى التي تحمل قدرة عقلية ووعياً بالدور الذي يمكن أن تلعبه في المجتمع، ومدى ما تحققه من تغيير في أرض الواقع، كما نجد أنَّ لها القوة في مواجهة الآخر وتحديه، وهذا بالضبط ما تمثله "سوسن" التي وصفتها والدتها "خديجة" بالتبجح والوقاحة لأنَّها تواجههم برأيها بصراحة دون خوف، لذلك عندما تكتشف الوالدة رسالة موجهة لابنتها "زينب" من أحد الشباب تعنفها بقوة وتهينها دون أن تحاول فهم شيء من ابنتها، وتواجهها ابنتها سوسن بالقول إنها مخطئة في حق ابنتها، وتعترف الأم فيما بعد أنها تكون قد أخطأت لأنَّ زينب فتاة تطيع أوامرها، أما "سوسن" فهي لا تخاف أحداً، تقول: "كانت تنظر الي بصفاقة، إنها لا تخافني، ولا تخاف أحداً .. فما العمل في بنت لا تخاف أحداً؟" [٢٤، ٢٧].

نجد أنَّ الانثى/ الأم المتمثلة في "خديجة" تمارس التسلط على أبنائها، وتفرض عليهم رؤاها وأفكارها وتجبر بناتها على عدم الخروج من السياق الاجتماعي، فمن المفروض أن يكون الخوف صفة ملازمة للمرأة في حُلَّها وترحالها، لأنَّ المجتمع يرببها عليها مذ نعومة أظفارها، فهل من المعقول أن تخرج "سوسن" عن نسق الإناث المطبوعات، وتتصف بصفات لا يحبها المجتمع لها كالجرأة والتحدي ومواجهة العائلة بأمور غير معقولة، فهذا هي "سوسن" بعد نشوب الحرب، تخفي اهتماماتها السياسية وتكتفي في ظل الحرب بالبكاء وفي كنف عائلتها تفاجئ العائلة برغبتها في الخروج مع المظاهرات التي اكتسحت الشارع المصري، ولكن والدتها تتلقفها من الشارع وتحبسها في غرفتها لتربطها بحبل إلى رجل السرير لئلا تهرب أو تفعل بنفسها شيئاً .

وبعد أن تكبر سوسن لتكون في الجامعة تشترك في نشاطات سياسية، تعلم بها أمها فيما بعد، لتتذعر مما تقوم به ابنتها من تصرفات خارج السياق المألوف.

إنَّ سوسن مدفوعة بصورة لا شعورية إلى حب وطنها والرغبة في المشاركة مع بني جنسها في المظاهرات السياسية، وهذا الحدث يؤسس برغبة الأنثى في الانتفاض على الوضع السياسي، وهي لا تنتظر أنَّ كونها أنثى مما يمنعها من المشاركة، وإنما تنتظر إليه على أنه حق طبيعي ينبغي أن تتمتع به شأنها في ذلك شأن الرجل، ومنع عائلتها لها يشفعه كونها أنثى لم تبلغ الثالثة عشرة من عمرها، ومع ذلك فقد أظهرت سوسن شجاعة، إذ أبدت ميولاً سياسية في مرحلة مبكرة، وهذا يدل على النضج العقلي الذي تتمتع به.

وفي أكثر من مرة تصف الساردة/ خديجة ابنتها "سوسن" بالتمرد وعدم المطاوعة، تقول مقارنة بين ابنها سعد وابنتها: " هذا الولد لا يخذلني أبداً، مهذب ومطواع لينه يطبع أخته بشيء من وداعته" [٢٤، ٥٥]، إنَّ هذه المقارنة تتم عن شعور الوالدة أنَّ سوسن ستستمر في تمرداها ولن يثنيها شيء في سبيل القيام بما تؤمن به في الحياة، فهي تسعى لتأكيد ذاتها ووجودها.

تتحرك "خديجة" وفق ما يمليه عليها المجتمع، إذ كانت في طفولتها تتحرك بعفوية ومن مبدأ المساواة بين الذكر والأنثى، ولكن السياق الثقافي أملى عليها أن تسير وفق السائد المتعارف عليه في المجتمع، أما بالنسبة إلى سوسن فقد هيأت مساحة الحرية الممنوحة لها ألا تقف عند الحدود التي مرت بها والدتها، وإنما تتعدى ذلك إلى مساحة خطيرة على الأنثى ألا وهي السياسة والانتفاض على الأوضاع القائمة، إذ نجد من خلال التشكيل السرديانَّ الهم الذي حملته أيديولوجية أفكارها لا تقف ضمن حدود هموم الأنثى الخاصة، وإنما ترتفع بها إلى ما هو عام جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل، وهذه النظرة أوعزت إلى تطور نظرة المرأة وثقافتها فضلاً أنَّ دراسة "سوسن" للمحامية يهبي لها النظر بعين ثاقبة وجريئة إلى مجريات الأمور من حولها، لذا نقول "خديجة" معترضة على حال "سوسن": " لو كان سعد كسوسن وسوسن كسعد لبدت الأمور أقرب إلى المنطق ولكن لا منطق في شيء" [٢٤، ٥٥]، وبذلك نجد أنَّ الرؤية الذكورية قد أعلنت عن نفسها بصورة محايدة دون أن تعلن عن نفسها وتبرز شرعيتها [٢٧، ٢٧] سوى أنها منغوسة في ثقافة الأنثى التي اكتسبتها من المجتمع .

تبدو "سوسن" من منظور "خديجة" ذكورية لأنها في نظرها أخذت الصفات التي ينبغي أن يمتاز بها الرجل ألا وهي الاعتراض/المناقشة/الاختلاف/الاحتجاج...الخ، على عكس ابنها "سعد" فهو هادئ ولطيف، ونظرة خديجة لكل من ابنها وابنتها تكرست من "سطوة الثقافة [فـ] أفضى إلى إنتاج لغة و[صورة تمثيلية عن المرأة] تماهت مع مسطورات [أساطير] المجتمع" [٢٨، ٧٩].

لذا تبدو "خديجة" في حالة قلق مستمر مما تبديه "سوسن" من أقوال وتصرفات تجدها "خديجة" غير لائقة بأنثى، ونجد أن ميول "سوسن" السياسية تظهر في سن مبكرة كما نوهنا سابقاً، وعندما يموت رئيس مصر "جمال عبد الناصر" تلبس السواد لتظهر حدادها عليه، وتصفها والدتها بالجنون، وتعلن تمرداها عندما لا تستجيب لأمر والدتها بنزع السواد، تقول: "طلبت منها أن تخلع هذه الملابس فوراً... لم تستجب" [٢٤، ٥٨].

تبدو نزعة التمرد عند "سوسن" أكثر قوة وتجذراً واستمرت عندها بالنمو ولم تتوقف عند حد معين، بخلاف "خديجة" التي انتهت عندها بمجرد أن تزوجت.

ولا تتوقف "خديجة" من مراقبة ما تفعله "سوسن" التي تتحدى سلطة العائلة وتجد نفسها محاصرة من قبل والدتها ضد ميولها ونشاطاتها السياسية، لذلك تحاول والدتها أن تضعها عند حدها عندما تعلم بأمر المقالات والرسوم الكاريكاتيرية السياسية التي تشارك بها مع زملائها في الجامعة فتحاول "خديجة" بشتى الطرق أن تمنعها عن هذه الأمور حتى لا تضر بمستقبلها كـ "بنت" فتصف ابنتها قائلة لسوسن "متمردة تحتاج لجاماً لكي لا تفلت" [٢٤، ٦١].

إن هذه مقولة ثقافية تفيد معنى التقييد وترويض الأنثى حتى تستجيب لما يريده منها المجتمع، فأخطر ما يمكن أن تفعله المرأة هو أن تقارب السياسة لأنها من المنظور الاجتماعي والثقافي شيء خاص بالذكور لا تقربه المرأة إلا بمباركة من المؤسسة الذكورية ورضا منها، فالرجل في الشأن السياسي "محور الخطاب ومنتجه" [٢٨، ٧٩].

لذا تبدو "سوسن" في خطر وبحاجة إلى مساعدة من منظور والدتها، حتى لا تؤذي نفسها وعائلتها وتغرق نفسها في دوامة هي في غنى عنها، لذا تبدو صارمة في تعاملها معها، وتحاول استعمال أسلوب التهديد لثنيها عما تريد فعله، ولكن السؤال يكمن هنا، هل ابتعدت "سوسن" عن هدفها وعمّا تريد التفكير به وإنجازته على أرض الواقع، أم أنها استمرت في تحديها لوالدتها، وتحاول إخفاء ما تروم القيام به؟.

إن السلطة التي تمتلكها "خديجة" بوصفها أمّاً تتيج لها أنتوجه "سوسن" وتتزع منها تمرداها الذي يوحى لها بالخروج على الأعراف والتقاليد الاجتماعية، لكنّ إشارات المساق توحى لنا صعوبة ما تقوم به "خديجة" في إقناعها بذلك، كونها تنسم بالعناد والرغبة في المخالفة، لذلك تراود "خديجة" المخاوف دوماً مما قد تخفيه لها الأيام.

وتبلغ حدة الصراع أوجها بين "سوسن" ووالدتها حين تعلم والدتها بنشاطها السياسي وأنّ وزارة الداخلية لديها علم بالنشاطات التي تقوم بها مع مجموعة تعارض الحكومة القائمة يرأسها أستاذ جامعي يقودهم باتجاه الحراك السياسي، والمواجهة القائمة بين سوسن ووالدتها تصل الى قطيعة ونزاع وعدم وجود أسس يتقاهما عليها، مما يجعل سوسن تقف بمواجهة والدتها وتعلن إصرارها على موقفها؛ ويشكل ضرب خديجة لابنتها سوسن علامة فارقة على حدوث اختلال في توازن العلاقة بينهما، فليس بمقدور خديجة أن تعيد تشكيل فكر سوسن بالشكل الذي تريده هي، فسوسن لها أفكار ورؤى تؤمن بها، فمن غير المعقول أن تنتهي ما تؤمن به بين ليلة وضحاها، لذا تلجأ خديجة إلى ضرب سوسن لتحاول إعادتها إلى الصواب، وتواجهها سوسن بالقول: "إنك تريدني قتلي، هل تعرفين ذلك؟! إنك تريدني قتلي، هل تعين ذلك؟" [٢٨، ٨٥].

ليس بالضرورة أن يكون القتل جسداً، ما دام الفكر يتم محاصرته ومنع فيوضاته من أن يأخذ مجراه الطبيعي، لتعبر الذات عن تحررها في المجتمع.

وهذا الموقف هو بالذات ما مرت به خديجة إزاء والدتها عندما كانت صغيرة، إذ تحاول والدتها لجمها وإبعادها عن التصرفات غير اللائقة بالبنت، تقول: "ليست الأمور بيني وبين أمي على ما يرام، شيء ما يعقدها ويعرقل سلاستها"^[١٧، ٢٤]

قد تكون المواقف التي مرت بها خديجة محفورة في لا وعيها، ولكن نبرة التحول التي مرت بها جعلتها تدفن كل الماضي في صندوق وتلقي به خارج حياتها.

ولم تكن سوسن متحررة بالمعنى الكلي، إذ نجد أنها منقادة لجماعة يرأسهم "أستاذ جامعي" يملئ عليهم أفكاره، مؤثراً بهيمته على سوسن فكرياً وعاطفياً، وعندما أرادت خديجة منع سوسن عن النشاط لجأت إلى ذلك الاستاذ لإقناعه بإبعادها عن الخطر، ولكن دون جدوى .

٤. النمذجة الثقافية وتبعية المرأة^[١]:

نلاحظ أن المساحة التي تتحرك بها المرأة في إطار المجتمع تكاد تكون محدودة، فهي مقيدة بوضعية اجتماعية ثقافية تمنعها من مزاولة حريتها، وفي الوقت نفسه يفرض عليها التحرك في مساحة محددة وفق ما يملئها، لذا تتربى المرأة وتتشرب تقاليد المجتمع ومعتقداته السائدة؛ لتغدو نموذجاً ذكورياً لا يتحدث بلسان امرأة وإنما بلسان رجل تنماهى معه .

وعلى الرغم من محاولة الأنثى التمرد على الأنساق الثقافية التي تضع المرأة في درجة ثانية بعد الرجل، وكونها منفصلة بسياقاته لا فاعلة، سنحاول فهم مدى قدرة المرأة على الصمود وتبني أفكار تجديدية تخالف السائد لتحيا بها وجودها في الحياة ولتكون فاعلة ومؤثرة في المجتمع، إذ من المفروض أن تكون حركة المرأة في السياق الاجتماعي والثقافي " ناتجة عن تفكير واختيار واع"^[١٤، ١٦]، لذلك استثمرت الكاتبة الخطاب السردي وأدواته للكشف عن كثير من المواقف الأيديولوجية التي يتبناها المجتمع، وتتبنى بها المرأة علاقتها مع الذات والآخر سواء كان رجلاً أم امرأة .

إن الشخصية النسوية التي تجلت فيها ملامح التمرد تتمثل في خديجة "البنت" التي وجدنا فيها من خلال السرد ملامح التمرد ومحاولات العائلة وخصوصاً الأم لثنيها عن تصرفاتها الغريبة، وجدت أن الحل المناسب لذلك هو تزويجها، فهو الكفيل بتعليمها ما ينبغي أن تفعله وما ينبغي عليها أن تتجنبه، فاحتفى السرد بعد أن تقدم لخديجة عريس، بتشكيل صورة تعنتي بجسد خديجة وشكلها لتبدو بشكل يليق بزوجة، وهذه مرتبطة بـ "رؤى الثقافة للمجتمع"^[٢٨، ١٠٥] فلا بد من تهيئة الجسد لتكون "رهينة الإنجاب والإمتاع"^[٢٨، ١٠٥].

وهكذا نجد أن المجتمع قد رسم للرجل دوراً مركزياً فهو يتولى مسائل خارجية ويتحدث بمواضيع مهمة في حين بقيت المرأة على الهامش^[٢٨، ٧٩] تزاوّل أعمالاً لا أهمية لها .

وعلى الرغم من رفض خديجة الزواج لكنها لم تحتج بصورة قوية، وإنما اكتفت بعرض رأيها وأنها لا ترغب بذلك الآن، وإنما تود إكمال دراستها ودخول كلية الطب، وتتناقد لأمها بعد أن تعرف من رأي عائلتها

[١] يمارس أحمد سلطته بصفته الأخ الحامي لأخته فيجرها من ضفيريها عندما يراها تنتظر من البلكونة بحجة أن ثمة من يتلصص عليها من الجيران، تعنف خديجة أباها أمام والدتها وترى أنه مخطئ في تصرفه معها.

أن الشاب لقطة ولا يعوض، وتنتهي لحظات الثورة والتمرد عند خديجة لتعيش كباقي النساء في كنف رجلٍ يحميها ويعبر بها بر الأمان، وتصوغها القيم الثقافية على قالب المجتمع الذي تنتمي إليه.

(صورة خارجة عن القيم) البنت - خديجة - المرأة (صورة مألوفة)

إنَّ التحول الذي طرأ في حياة خديجة كان نتيجة رضوخها وعدم انصياعها لهواجس الذات، على الرغم أنَّ البنية السردية أظهرت لنا عدم اندماجها مع الواقع الاجتماعي الذي يحاصر المرأة في أفكارها ويحد من حريتها ويسلِّط عليها الرجل كرقيب (وهذا ما يمثلها أخوها أحمد) [١٧، ١٨-٢٠].

تسلَّم خديجة الرؤية بيضاء لصالح المجتمع الذي هيمن بأفكاره ورؤاه على منظورها، وتتبنى أفكار الطبقة التي تنتمي إليها لتطوِّى صفحة من صفحات التمرد النسوي في وجه أعاصير من قيم ومعتقدات اجتماعية وثقافية، تسلَّم خديجة إلى حظيرته بعد أن ثارت عليه في مرحلة من حياتها .

أما سوسن فنلاحظ أنَّها أكثر تمرداً وعنفاً في مواجهة والدتها وأفكار المجتمع التقليدية، فهي لا تحبذ تغيير وجهة نظرها التحررية التي تؤمن بها لأنها انطلقت من فسحة بيئية أكثر تطوراً وتحمل أيديولوجية فكرية استمدتها من قراءتها، وهي كخديجة في صغرها تفاجئ عائلتها بأمر خارجة عن المألوف، ولكنَّ اهتماماتها انصبَّت بالشأن السياسي إذ انضمت إلى مجموعة يترأسها أستاذ جامعي، وكانت لهم نشاطات واهتمامات بنشر مقالات سياسية، وكثيراً ما كانت في حالة صدام ونفور مع والدتها التي كانت تريد ترويضها لتبتعد عن السياسة ومشاكلها، ولكنَّ سوسن لم تنصوِّ تحت لواء والدتها وإنما عاشت حياتها وفق ما أملاه عليها ضميرها، وكانت تجد أنَّ والدتها متسلطة على أولادها وتفرض عليهم ما تريده هي، ولم تتمكن خديجة من فرض شروطها على ابنتها التي اختارت أن تعيش حياتها بمفردها بعيداً عن التسلط بخلاف أخيها سعد الذي كان كثيراً ما ينصوي تحت شروط والدته مراعاة لها ولمشاعرها، ولكن النتيجة المأساوية أنَّ سعد لم يتمكن من الاستمرار في الحياة التي اختارها له والدته ليموت منتحراً فيما بعد .

جربَت سوسن أن تمارس حياتها بحرية بعيداً عن الضغوط، وتفتحت عينها على العالم بتمثال أقامه الشعب لقائد ثار على الاستعمار، وقرأت الكتب واقتحمت حياة الثورة ومارست الحب بحرية دون ضغوط اجتماعية، وكان وعيها يخترن التجارب الواحدة تلو الأخرى، وتمضي سوسن بخطى واثقة في الحياة لتكسر عُرف والدتها وتهدي بسيرها .

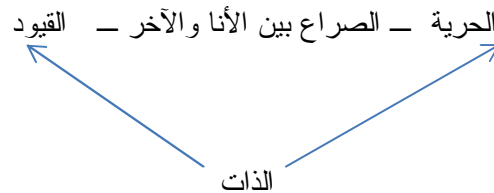
وهكذا نجد أنَّ ما يعيق حركة المرأة هي المرأة ذاتها، فدور الأم / الجدة هو دور قتل للطموح ومنعها من أن تمارس حريتها وتؤكد ذاتها في المجتمع لتغدو غريبة في عالم يُهمَّش دورها باستمرار .

كما يحدِّد السرد الوجوه التي تنتقصها المرأة وتظهر بها في المجتمع ما بين متسلطة ومعاندة لإرادة التسلط وطبقة منقادة، وهذه الوجوه تعتبر عن نفسها لتحاول الخروج من قوقعة الزمن الماضي وتنتقل إلى الحاضر لتحقيق " وعي الذات المنجزة بضرورة ووجوب تغيير العالم " [٢٩، ٩٢] .

٥. صورة المرأة الثقافية ودلالاتها في الرواية:

أشرنا من دراستنا هيمنة صورة المرأة الثقافية التي تأدلجت وفق الأنساق الثقافية المهيمنة في المجتمع الذيربي المرأة على الإنصياع والطاعة وعدم المخالفة، وأنَّ البيت هو مكانها الآمن الوحيد الذي تترك به وجودها في كنف زوج يحميها ويدراً عنها مخاطر الحياة، وهذا الأمر مغروس في عقل كل من الانسان (رجل - امرأة) وممكن ترجمته بتصرفات معينة تلائم البيئة والتربية التي نشأ بها الانسان، فكل ما يتعلمه البشر من تجارب متأثر باللاوعي الجمعي الذي يقود ويقرر تصرفات الانسان من بداية حياته [٣٠] " فالمجتمع يفرض

على الرجل والمرأة أدواراً اجتماعية بأعيانها، ويتوقع منهما أن يسلكا طريقاً مرسوماً يختلف عن الآخر^[٣١]، وهذا ما مثلته جدة خديجة وأما ومن ثم خديجة نفسها التي تشربت قيم المجتمع وثقافته المهيمنة بعد أن تزوجت، وتحمل صورة خديجة في الرواية دلالة الهيمنة والتسلط والمكابرة وقد أظهرت قوة في أقوالها وتصرفاتها وقدرتها على اتخاذ القرارات المناسبة وخصوصاً بعد أن أشرفت على بناء مستشفى زوجها وبأحدث طراز شاعت تسميتها باسم الملكة وهذا ما جعلها تشعر بالزهو بإنجازها، وتبدو من صوتها في الرواية أنها الحكيمة التي ترغب أن ترسو بأولادها إلى برّ الأمان، لذا تملّي عليهم ما ينبغي فعله وتقوم بتحديد مصير أبنائها حتى وإن لم يكن لهم رغبة به، فابنتها زينب تطيعها ولا تخالف لها أمراً لذا تميل خديجة إليها وتبارك لها زواجها من مجدي (صديق الطفولة)، وتلاحظ خديجة الفرق بين زينب وسوسن فأحدهما مطيعة وطيبة أما سوسن فعنيدة وتتحدى سلطة والدتها، وهذا الأمر يؤرّق خديجة كثيراً فهي تقلق كثيراً على ابنتها التي تكبر ولم تقترن بزواج مناسب، فسوسن شقّت طريقها بنفسها ولم تكن صورة عن أمها وأختها، وإنما اهتمت بقراءة كتب التاريخ والسياسة في مرحلة مبكرة من عمرها وهذا ما ألمحت إليه في معرض حديثها عن شطر مهم من حياتها جعل صورة سوسن جليّة وواضحة لنا، خصوصاً أنها اختارت مهنة المحاماة التي تتطلب جرأة وشجاعة تتناسب مع ايدولوجيتها المتبنية، وتحمل سوسن همّاً وطنياً ولا ترضى لنفسها أن تكون وفق النموذج السائد من النساء، فتت عزل عن عالم والدتها التي تجد منها ما يفارق رؤاها وفكرها وتكون لنفسها سراديب خاصة بها حتى لا تقوم والدتها بتحطيم أحلامها، فتكون لنفسها عالماً خاصاً بها، وتكشف الرواية سوسن الكثير من أسرارها وأسرار عائلتها لنا لتهتز الصورة التي رسمتها خديجة لنا وتتفتق عن شقوق البناء الذي تهاوى بانتحار ابنها سعد ونفور سوسن عنها التي اختطت لها طريقاً في الحياة يخالف ما تريده والدتها .



فالذات (سوسن) لا تأتلف مع الآخر (خديجة) وتحاول أن تجد لها منفذاً خارج تلك القيود التي تحاول خديجة فرضها عليها، فتشتد حدة الصراع بين الأم وابنتها وتكرر المواجهات لنفسي في النهاية إلى استقلال سوسن .

وهكذا نجد أن خديجة في تعاملها مع بناتها قد " لعبت دور " المرأة " في الثقافة الأبوية، فانطبعت على سطحها مظاهر الثقافة الأبوية، فلم تعكس عن ذاتها الأنثوية شيئاً، فأبعدت من عملية التمثيل لأنّ وظيفتها كانت تمثيل الآخر وليس ذاتها^[٣٢] .

ونجد أن الرؤيا/الحلم أحد الركائز التي تؤمن بها المرأة وتشكل من خلالها عالمها الحقيقي، فهو رؤية تستبطن دلالات ومعانٍ خفية تستعصي أحياناً على التفسير لأنّ الرمز يغلف الكثير من أحداث الرواية ويتداخل "الواقع بالحلم"^[٣٠]، فالأحلام تهجم على خديجة التي تشاهد في طيفها أن شيئاً يتسرب من بين يديها، تقول: "شيء ما كان بيدي، أفتح قبضتي فجأة فلا أجده. أبكي، أبحث في كل مكان. هل سرق؟ من سرقه؟ هل سقط مني؟ هل تسرب من أصابعي وأنا في غفلة؟ ومتى تسرب؟ أستيقظ من نومي فأجد الدموع على وجنتي وانخفاضة في قلبي"^[٣٠، ٢٤]

إنّ هذا الحلم من منظور الواقع يحيل على دلالة رمزية تشي بأنّ الرائي سيفقد شيئاً ما عزيزاً عليه وهذا هو ما حاولت خديجة فهمه والبحث عنه ولكنها لم تجد تفسيراً لذلك الشيء، لأنه ظلّ مبهماً غامضاً عليها.

وفي أكثر من مرة تتردد الرؤيا/ الحلم لتعطي للمرأة تفسيراً لما سيكون عليه الحال في المستقبل، ويظل الحلم جزءاً من تكوين المرأة ومخيلتها كما أنه يعبر عن قلقها المستمر تجاه من يحيط بها. أما الرجل فنجد أنّ صورته باهتة خارجة عن شؤون المرأة واهتماماتها، إذ يظهر انشغاله بالعمل والشؤون الخارجية كالسياسة تاركاً أمور الأسرة ورعاية الأولاد للمرأة، وإنّ حاول التدخل فيكون على نحو إعطاء كلمة الفصل وينتهي الأمر؛ وإنّ مارس الحب مع المرأة فيكون على قدر تعلقه بالجسد وهذا ما يمثله عبد الموجود الذي كان يوجه سوسن وزملائها في النضال السياسي لذلك تزحزح الرجل عن السرد ليترك للمرأة البوح عما في داخلها وتسرد لنا سيرة حياتها وتضئ شيئاً من جوانب اهتمامات المرأة وانشغالاتها في الحياة، ويلتقط السرد على لسان الراوية خديجة ظاهرة يعج بها المجتمع النسائي ألا وهي "الثرثرة" بوصفها من المنظور السائد جزءاً من تكوين المرأة التي لا تكل عن الثرثرة في مختلف المواضيع لتمارس عبرها قتل الفراغ الذي تشعر به، لذا تقول الساردة: "وكثيراً ما أتساءل كيف يحتفظ المرء بقدرته على الثرثرة بعد تجاوزه سنوات الطفولة. ولكني لم أكن أضج بحديثهنّ فلولاه لمرت علي ساعات ثقيلة"^[٣٤، ٣٥].

وأحد الأمور التي تسيء إلى المرأة هو شعورها بالفراغ، لذا تندفع بصورة لا إرادية إلى قتل وقتها بأمور تافهة، خصوصاً بعد أن تبلغ من العمر تجد فيها نفسها وحيدة بانشغال الأولاد عنها، وهذا ما أحست به خديجة، لذلك تقول متبرمة من الوضع: "استمع الى ثرثرتهنّ بقدر قليل من الاهتمام"^[٣٤، ٣٥].

إنّ البنية الاجتماعية التي تعد الأنثى جزءاً من تشكيلتها مسؤولة بصورة مباشرة عن إحساسها بالغبن الذي تشعر به في مرحلة مبكرة من حياتها، فالنساء "يعانين من التمييز بسبب جنسهنّ، وأنّ لهنّ حاجات خاصة تبقى منكورة وغير ملباة"^[٦٢، ١٤]، والصورة التي استوحتها الرواية تبين الخصوصية الفكرية والثقافية التي يحملها المجتمع ويُعامل على أساس ذلك كل من الرجل والمرأة.

لذلك تستشعر المرأة بشكل عام أنّها أقل من الرجل وهذا ما تلمسه خديجة وصديقتها في أثناء حديثهنّ عن تفضيل الأم لابنها على ابنتها، تقول: " هكذا الأمهات يفضلنّ الأولاد وينحزنّ لهم، ويتعاملنّ معنا بقسوة غير مفهومة"^[١٧، ٢٤]، وينطق السرد بتصورات المرأة عن ذاتها تجاه مثيلاتها من الجنس نفسه لتقترن صورة المرأة بـ بالسلبية / العجز وعدم الفعل / الضعف / الخضوع ...

ولتلتقط الراوية شيئاً من القيم الاجتماعية والثقافية التي تحكم تصرف المرأة ومشاعرها وعواطفها، فـ(خديجة/ البنت) وهي تبحث في حقيقة والدتها تستذكر صوراً وذكريات عن عائلة والدها، وتقسح لنفسها مجالاً بينها، وتجد بين هذه الصور العائلية صورة الجد مع أبنائه الذكور، وحين تسأل الأب عن سبب غياب أختيه، يقول لها: " لأنّ جدك لم يكن يسمح للبنات للذهاب إلى المصور ولا المصور بالدخول عليهن في البيت"^[١١، ٢٤]، والتتويه على مثل هذه الأمور — وإن كانت بالية في مجتمعنا — لكن آثارها في المجتمع ما زالت مترسبة في الذهنية العقلية، وها هي خديجة تعرض لنا صورة لعمتيها (فهيمه، وكريمة) إحداهما النقط لها والدها صورة تبدو فيها متجهمة الوجه، ويكرر الوالد على مسامع ابنته كلما رأى الصورة: " مسكينة بلا حظ ماتت قبل أن تتزوج (....) أما عمتي كريمة فهي المحظوظة لأنّها تزوجت"^[١١، ٢٤]، وبذلك نجد أنّ المجتمع هو مَنْ يغرس في نفوس أفرادهِ قيماً ومعتقدات عن الحالة التي يجب أن يكون عليها كل من الرجل

والمرأة، وهذا يعود بطبعه إلى "واقع اجتماعي معقد، يفرض بقراءته المسبقة على الكائن البايولوجي الذي يتحول ثقافياً إلى (رجل) أو (امرأة)" [٢٦٨، ٣٣].

وهكذا نجد أنَّ ثمة تحولاً طرأ في حياة "خديجة" بعد أن تزوجت وتركت دراستها، فالخطاب السائد في المجتمع هو خطاب الرجل فتحاول الأنثى أن تتماهى مع هذا الخطاب لتقترب من نواحي القوة، وقد تكون هذه السمة (القوة والاصرار) متجذرة في شخصية خديجة التي ترسم برؤاها عالمها وتشكل منه أبنائها وفق الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها.

أما سوسن فتمثل القوة المضادة التي تقف في وجه قوة الوالدة/ خديجة، لتتشكل صورة منفرة لإحداهما تجاه الأخرى سببها عدم قبول سوسن الانصياع لأوامر الوالدة التي تجد من منظورها أنها متسلطة في فرض أفكارها عليها، لذا تحاول أن تشق طريقها في الحياة وفق الايديولوجية التي تبنتها متمثلة في التحرر واختيار الحياة التي تلائمها دون قيود.

وتحاول سوسن من خلال السرد أن تكشف العديد من الشروخ التي أصابت حياة والدتها خاصة بعد وفاة والدها، إذ تبين أنه كان متزوجاً من امرأة أخرى دون علم والدتها، وهذا يكشف انهيار الجدار الذي بنته خديجة وحاولت أن تحافظ عليه، فهي تمثل الصورة الاجتماعية التي ظهر بها زوجها للمجتمع، أما المرأة الأخرى فتمثل الحب الذي يهواه القلب.

إنَّ الأنثى في المجتمع تعاني من استلاب سببه لها العادات والتقاليد الاجتماعية التي جعلتها تصارع من أجل إثبات وجودها وكيونتها في المجتمع، ولكنَّ طريقها في ظل قيم ما زالت تتخرف في جسد المجتمع يحتاج منها الكثير لتناضل لتثبت لهم جدارتها في أن تحيا وتمارس فعل التحول والتغيير.

إنَّ خديجة وسوسن صورة نسوية من صور متعددة تشكلت في المجتمع، وعلى الرغم من اختلاف شخصيتيهما ومنظور أفكارهما بيد أنَّهما عبرتا عن رؤيتهما، وكان لها "دخولاً جريئاً إلى المناطق التي صممت عليها، وتوسيعاً للمناطق المجهولة" [١٠٣، ٣٠].

وعند دراستنا لرواية "خديجة وسوسن" وجدنا أنفسنا إزاء عدد من الشخصيات النسوية المختلفة في نمط تفكيرها إزاء نفسها ونظرتها إلى الحياة والعالم من حولها، وهذا الاختلاف مرده إلى اختلاف ثقافة كلٍّ منهن واختلاف رؤيتهما للعالم، ومن خلال هذه الدراسة يتبين لنا مدى قوة الأعراف والتقاليد الاجتماعية والثقافية وأثرها في قهر المرأة وتغييب دورها في الحياة ومحاولة طمس أي وجود لها من مؤسسة النظام الاجتماعي الأبوي التي ظهر تشرب المرأة لها وتمثلها في حياتها ومحاولة إخضاع الجنس نفسه لهذه الأفكار والرؤى، ومدى صلابة وقوة المرأة في مواجهة هذه الأفكار التي تتناقض أفكارها ورؤاها في الحياة، وفي هذه الرواية نحن بإزاء شخصيتين هما: خديجة وابنتها سوسن.

وعندما كانت خديجة /البنت تسبح في فضاء الحرية الرحب تلهو وتلعب مع أخيها "أحمد" و"مجدي" ابن الجيران بعفوية دون أن تجد قيداً بالالعب التي تمارسها، وتعبر عن أحاسيسها وعواطفها وتقرّ وهي تسرد لنا حكايتها أنها أفضل من أخيها فهي متفوقة في دراستها وتعبر الاحلام كالطيف أمام عينيها، والسؤال الذي يدور في أذهاننا هو: لماذا استسلمت خديجة ولم تكمل مشوارها في أن تكون شيئاً يذكر بوجوده وبما تقدم؟ ومن الذي وقف في وجهها وفي طريق الطموح الذي ترغب فيه؟

ربما لو لم تنقاد "خديجة" لما أرادت عائلتها لخرجت إلى المجتمع بنموذج نسوي حر في أفكاره وقامت بتأدية أعمال وإنجاز مهام فاعلة في الحياة، ونجد أنَّ السرد يكشف لنا أنَّ والدتها هي من قامت بالوقوف في وجه ما تريده وكبح جماح رغباتها، فأنحصرت خديجة بعد زواجها في دائرة ضيقة هي دائرة البيت

والأطفال، فأصبحت حياتها روتينية يغلبها الملل وقد صرحت بنفسها يوماً ما وهي في منزلها بهذه الحقيقة، تقول : " جلست فأشعلت سيجارة "ثلاثة عشر عاماً مرت، فكيف مرت؟" فاجأتني العبارة التي طفت إلى وعيي فجأة كأنَّ شخصاً آخر نطق بها وسمعتها فاندثشت." [٢٤، ٢٥].

إنَّ عبارة خديجة تعكس ماهو معتمل في داخلها وكأنَّ هناك ذاتاً أخرى تكلمت وتريد أن توقفها ثم أخرجتها التساؤل بحلول الهوية الثقافية المتشكلة وفق السياق الاجتماعي والثقافي إلى النظر في الأشياء التي امتلكتها البيت، الأطفال، الاهتمام بتفاصيل الحياة الاجتماعية، وقد عُرِفَت خديجة بتسلطها على ابنتها وابنها "سعد" فلم تحاول إعطاء الحرية لهم في التعبير عن الرأي أو الاختيار وإنما أحكمت السيطرة في فرض ما تريده على أبنائها، لذا فإنَّ ما حاولت خديجة بناءه تهاوى شيئاً فشيئاً، فابنتها سوسن خرجت عن إطار سيطرتها ولم تنقاد إلى ما تريده والدتها، فقد منحت ذاتها حرية المشاركة في الحياة السياسية لذلك كانت شخصيتها غير نمطية وإنما نامية متحركة تسودها الجرأة والشجاعة مما أقلق والدتها خديجة التي ظلت تحوم حول ابنتها في محاولة منها لردها إلى السياق الاجتماعي التقليدي، لكنها جوبهت من ابنتها بالتمرد، لذلك فإنَّ الضغوط التي أكرهت فيها خديجة أولادها على الاختيار حولتهم إلى مكون هامشي، فحدث من جراء ذلك رد فعل عكسي من بينهم سعد الذي سافر إلى باريس بحثاً عن الذات وهويتها في ممارسة ما تحب وتهوى في هواية الرسم لكن الوالدة "خديجة" كانت بالمرصاد أمام ما يريد ويرغب ابنها سعد ورغبت في أن يكون طبيباً، وعندما حدث ما أرادته وأرغمته على الزواج من فتاة على رغبتها مما أدى في النهاية بعد أن استنفذت خديجة كل الطرق في فرض ما تريده على أبنائها فوجئت بنهاية مأساوية لابنها سعد الذي مات منتحراً فوضع السرد حداً لطفوس هيم في العلو والغرور والكبرياء.

كما نجد أنَّ السرد كشف على لسان سوسن الكثير من المضمرات الخفية خصوصاً بعد وفاة والدها حين كشف لها سرّاً عرفته بعد وفاته وهو زواجه من امرأة أخرى كان يحبها في طفولته، مما يكشف لنا تهاوي الصرح الذي بنته خديجة فأفرز تهشم الأحلام وخطأ المنظور الذي تبنته خديجة، فأبقتنا في نهاية السرد في مساحة خالية ...

وهكذا نجد أنَّ شخصية "خديجة" في بداية حياتها قد تشكلت بوعي فطري، فقد كانت لا تعرف حداً فاصلاً بين الولد والبنت، وشكلت تساؤلاتها صدمة تدعو القارئ إلى إعادة النظر في المفاهيم المجتمعية والثقافية، فهل من العدالة عدم النظر بإنصاف إلى كلٍّ من الرجل والمرأة؟ وهل من الإنصاف أن تقف التقاليد الاجتماعية بوجه ما تريده المرأة؟

ولكن التحول الذي طرأ عليها سببه غلبة النسق الثقافي المهيمن الذي يؤدلج الانسان الرجل/ المرأة على وفق أفكار مسبقة لا تقبل الزحزحة عن مسارها لأنها تحتاج إلى تغيير في التوجه والرؤى والسلوك. إنَّ أخطر ما تواجهه المرأة هو معارضتها من طرف الجنس نفسه، وهذا ما حدث لـ "سوسن" حين جوبهت بمعارضة من طرف والدتها، مما جعلها في حالة صراع مع والدتها لتناقض أفكارهما، فخديجة تتبع وسيلة الهجوم في صدِّ ما تراه غير ملائم ومناسب لأعراف المجتمع، أما سوسن فتقف بموقف الدفاع عن رؤاها تجاه والدتها، مما ولد حالة من التنافر لعدم تقبل أفكار الطرف الآخر.

٦. المرأة والثقافة الذكورية:

تقول الكاتبة الروائية لطيفة الدليمي في إحدى المقالات المنشورة لها على صفحات الانترنت إنَّ الاساطير مازالت تتحكم بوعي الشعوب في النظرة إلى المرأة وسلوكها في المجتمع، وأوضحت تحكم السلطة

الدينية وسعيها الدائب نحو إقصاء النساء وعزلها عن الفضاء الاجتماعي العام وتحديد تحركاتها وكبح طموحاتها الثقافية والانسانية [٣٤].

إنَّ هذه المقولة على واقعيتها تحدد لنا استقرار النسق الثقافي المحفور في ذهن المجتمع عن المرأة، مما أسفر عن وجود خلل اجتماعي في منظومة العلاقات الاجتماعية وحرمان النصف الآخر من ممارسة حقوقه لـ " رسوخ الموروثات الثقافية التي تعلي قيمة الذكر مقابل دونية الانثى بحجة قصورها العقلي والبيولوجي التي تغلغت وأصبحت جزءاً عضوياً من النسيج الثقافي والاجتماعي والاخلاقي... " [٣٥].

إنَّ الثقافة الذكورية على حد تعبير أحد الكتاب معدة لمسخ وجود المرأة وكيانها وشخصيتها [٣٦].

والخطاب الروائي في رواية "خديجة وسوسن" يقدم لنا صورة اجتماعية ثقافية للمرأة التي تنشأ وفق تصور ايدولوجي يفرضها عليها المجتمع الذي تهيم عليه الثقافة الذكورية كونه هو النموذج الراسخ في اللاوعي الجمعي، والسؤال الذي يدور في أذهاننا هو: هل إنَّ المرأة وقفت موقف المنقاد الصامت لهذه الثقافة أم أنها حاولت معارضتها والاتيان بنموذج ثقافي جديد يكرس حضور المرأة ويعبر عن كينونتها في المجتمع؟

إنَّ الاجابة عن هذا السؤال تطلب منا الدخول في صلب عدد من المواقف التي واجهتها المرأة في رواية "خديجة وسوسن" وأظهرت لنا رسوخ الثقافة الذكورية في لاوعي كل من الرجل والمرأة وهيمنتها على السائد الثقافي، فالأنثى تجد نفسها محاصرة من العائلة والمجتمع الذي يطلب منها الالتزام بالمعايير الاجتماعية والثقافية المسلّم بها في المجتمع، وبما أنَّ المجتمع العربي مجتمع ذكوري كون الرجل والاعراف والتقاليد التي غرست في اللاوعي الجمعي تتحكم في سيروية منظومة العلاقات الاجتماعية ووضع القوانين والأطر الداخلية، فمن الطبيعي أنَّ أيَّ خروج على هذه المعايير والأطر السائدة يتطلب الوقوف بوجهها وإعادتها إلى الحظيرة الذكورية وتغيير الأسس الفكرية التي أوجدتها بوصفها من منظور المجتمع انحرافاً فكرياً ينبغي تعديل اعوجاجه، وإزاء المسار النقدي الذي تم تحليله في دراستنا وجدنا أنَّ (خديجة/البنت، وسوسن/ الابنة) قد مثلتا مرحلة ابتدأت مسار حياتهما بالتمرد، مع اختلاف خطي في استمراره

خديجة ————— توقف عند حدٍّ معين

سوسن ————— استمرار

فالأنثى منذ أن تعي على الحياة تتشرب أسس وقوانين الثقافة الذكورية فتصبح جزءاً من ايدولوجيتها، ولكن في حالة (خديجة / البنت) نجد أنها تسير وفق فطرتها، ولا تعي منذ البداية فيما إنَّ كانت هناك فروق حقيقية بين الولد والبنت سوى أنَّها فروق من صنع المجتمع بعينه.

أما (سوسن/ ابنة خديجة) فنجد أنَّ نسقها الفكري أعلى وأعمق، إذ تخوض غمار التجربة السياسية في إطار التثوير ضد السلطة، وعلى الرغم من محاولة خديجة ثني ابنتها عن ذلك بوصفها أنثى لا ينبغي لها أن تتعدى حدودها غير المسموح بها في المجتمع، لكن سوسن تستمر في تمرداها على السائد الثقافي المهيمن في وجه والدتها/ التي تمثل السلطة بوجهها الذكوري، دون أن تنزعزع عن ثقافتها المتحررة التي اكتسبتها من قراءتها الثقافية ووعيتها بأنوثتها.

وتظهر السلطة الذكورية كذلك واضحة جلية في صورة (الجد الذي يمنع بناته من الظهور في الصور — الأب، الزوج الذي يظهر بمظهر الحامي للمرأة)، وأحياناً يختزل الذكر صورة المرأة في الجسد/ المتعة، كما في علاقة سوسن بعبد الموجود التي أدركت الخطأ الذي ارتكبته عندما أحبت ذلك الرجل فقررت قطع علاقتها به.

وهكذا نجد أنَّ الدراسة قامت بتمثيل بنية المرأة في الخطاب الروائي وتمثيل أوضاعها الاجتماعية والثقافية، وحالات الاستلاب والتشويه التي تتعرض لها في المجتمع كونه يفرض عليها ثقافته الذكورية، وهي بدورها إزاء هذه الثقافة اما أن تقف منها موقف المتبني لها المدافع عنها دون أن تعي أنَّ هذا ليس من ثقافتها وتقف موقف المعارضة ضد كل من يخرج عنها، أو أنَّها تعي الواقع الثقافي المعاش وتحاول أن تتمرد عليه لتؤسس لثقافة أنثوية خاصة بها كونها ذاتاً مختلفة عن الرجل ولها ميولها واهتماماتها الخاصة، وينبغي على الآخر أن يحترمها ويعترف بها دون أن يحاول محو شخصيتها ووجودها في المجتمع.

الخاتمة:

حظيت الرواية النسوية بمكانة مرموقة في الأدب الحديث؛ نظراً لمضامينها القيّمة وقدرتها على تمثيل صورة كل من الرجل والمرأة وأبعاد العلاقة المجتمعية التي تحكمها، فضلاً عن تمثيل أوجه الصراع الاجتماعي، وتتغلب الرواية النسوية على غيرها من الروايات بقدرتها على تجسيد وتشخيص ما في داخل الأنثى من مشاعر وأحاسيس إزاء ما حولها من العالم، ومن دراستنا تمكناً من رصد التحولات التي طرأت على حياة المرأة من علاقتها بالآخر والعالم من حولها، كما وجدنا أنها حاولت أن تكسر الصورة النمطية عن ذات المرأة وتساءل الآخر/ الرجل عن أفضليته مقارنةً بها، وكشفت لنا عن النسق الثقافي المهيمن الذي تلعب فيه المرأة دور المنفعل كونها تشربت قيم المجتمع وأنساقه الذكورية، ذكرنا أنَّ المرأة كانت تحمل الكثير من الأفكار الثورية في بداية حياتها ولكن هذه الأفكار التي كانت تحتج فيها على القيود المفروضة من قبل المجتمع على البنات قد تتغير بفعل هيمنة الأنساق الثقافية التي تهيمن بدورها على رؤى وأفكار الأنثى فتحيلها إلى كائن منفعل تحمل هيمنة وسطوة المؤسسة الذكورية التي تنزع نحو السيطرة والاستعباد فتضرب بيدٍ من حديد على كل من يحاول الخروج عليها.

ونلخص أهم النتائج التي وردت في دراستنا فيما يأتي:

- إنَّ النسوية نعت سياسي يهدف إلى دعم حركة المرأة الجديدة، فالنقد النسوي على هذا الأساس نوع خاص من الخطاب السياسي
- النظرية النسوية تدور حول الكتابات التي تصف وتشرح وتحلل ظروف حياة النساء وهي طريقة لرؤية العالم وتحاول أن توفر أساساً لفهم الحياة من حولنا
- يهدف النقد النسوي إلى قلب أقوى هرم سلطة وهو هرم الجنس لتقويض كل أشكال التراتب الهرمي لأنه بطبيعته ضد كل هرمية وكل سلطة
- ويتمس النقد النسوي بتعدد وجهات النظر ونقاط الانطلاق وتنوعها، بالنظر إلى إفادته من نظريات عدة مثلما ذكرنا آنفاً، ونزعة التعدد هذه تحيل إلى مفاهيم معينة تجمع هذا الشتات، من أهمها: عامل الاختلاف الجنسي في إنتاج الأعمال الأدبية، وملاحظة شكلها ومحتواها وتقييمها
- تتطرق الرؤية النسوية في إطار علاقة الام بأبنائها وخاصة البنات وتغوص في فضاء الأنثى الرحب وأحلامها في الصعود للقمة لتكون شيئاً يُذكر لا جسداً يغوص في قعر النسيان.
- إنَّ التمرد يحيي في المرأة الشعور بالهيمنة والقوة، وفي الوقت نفسه يضاعف من إحساسها بوجود الذات، ويغذي في ذاتها أن الاختلاف بين الرجل والمرأة إنما يعود الى أسباب اجتماعية وثقافية وليست بيولوجية.

- إنَّ التمرد ينشأ لدى الأنثى التي تحمل قدرة عقلية ووعي بالدور الذي يمكن أن تلعبه في المجتمع، ومدى ما تحققه من تغيير في أرض الواقع، كما نجد أنَّ لها القوة في مواجهة الآخر وتحديه.
- نجد من التشكيل السردى أنَّ الهم الذي حملته المرأة وإيدولوجية أفكارها لا تقف ضمن حدود هموم الأنثى الخاصة، وإنما ترتفع بها إلى ما هو عام جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل، وهذه النظرة أوعزت إلى تطور نظرة المرأة وثقافتها.
- قد تكون المواقف التي مرت بها خديجة محفورة في لا وعيها، ولكن نبيرة التحول التي مرت بها جعلتها تدفن كل الماضي في صندوق وتلقي به خارج حياتها.
- تبدو نزعة التمرد عند "سوسن" أكثر إيماناً وتجذراً واستمرت عندها بالنمو ولم تتوقف عند حدٍّ معين، بخلاف "خديجة" التي انتهت عندها بمجرد أن تزوجت.
- نجد أنَّ ما يعيق حركة المرأة هي المرأة ذاتها، فدور الأم/ الجدة هو دور قتل للطموح ومنعها من أن تمارس حريتها وتأكيد ذاتها في المجتمع لتغدو غريبة في عالم يُهمَّش دورها باستمرار.
- وينطق السرد بتصورات المرأة عن ذاتها تجاه مثيلاتها من الجنس نفسه لتقترن صورة المرأة بـ بالسلبية/ العجز وعدم الفعل/ الضعف/ الخضوع .
- رسوخ الثقافة الذكورية في المجتمع وتبني المرأة لها كونه جزءاً من اللاوعي الجمعي لترسخه عبر عصور وأزمان سحيقة.
- طغيان شخصية الأنثى المتحكمة التي تحاول فرض سيطرتها على الآخر لاختضاعه وتسيير شؤونه وفق رؤيتها الخاصة. وهذا ما مثلته (خديجة/ الأم) التي استلبت وجودهم وخياراتهم في الحياة.
- تخفت الذكورة وتلبست بلباس الأنوثة، وهذه الأخيرة ظهرت بمظهر القناع المدافع عنها.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر:

- [١] النقد الثقافي، "تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية"، أرثر أيزنبرجر، تر:وفاء إبراهيم — رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣: ٦٦. وينظر: النسوية "قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب"، رياض القرشي، دار حضر موت للدراسات والنشر، اليمن، ط١، ٢٠٠٨: ٢٥.
- [٢] ثنائية الكينونة "النسوية والإختلاف الجنسي، مجموعة من المؤلفين، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار، سوريا، ط٢، ٢٠٠٩: ٧٦.
- [٣] النسوية "قراءة في الخلفية لخطاب المرأة في الغرب"، د. رياض القرشي، دار حضر موت، الجمهورية اليمنية، ط١، ٢٠٠٨: ٣١-٣٢، ١٤١-١٤٢، ٥٦.
- [٤] توأم السلطة والجنس، د. نوال السعداوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦: ١٠٥.
- [٥] سورة آل عمران: ٣٦.
- [٦] رواية المرأة العربية من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٧ في ضوء النقد النسوي، هدى حسين زوير، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة كربلاء، ٢٠٠٩: ٢٤.

- [٧] النظرية النقدية، ستيورات سيم — بورين فان لوفون، تر: جمال الجزيري، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥: ١٥١، ١٥١، ١٥٥، ١٥٥.
- [٨] سلطانات منسيات، فاطمة المرنيسي، تر: فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦: ٤٥.
- [٩] النقد النسوي وآفاقه، د. سمير الخليل، الصباح، ع١٩٧١، ٢٠١٠: ١١، ١١، ١١.
- [١٠] دليل الناقد الأدبي "إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً"، د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢: ٣٢٩، ١٤٩، ٣٣٠، ١٥١.
- [١١] النقد النسوي في النتاج العربي، حيدر فوزي محمد، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠١٠: ١٤٢.
- [١٢] تأنيث القص وتحولات السرد في النقد النسوي " القصة النسوية العراقية أنموذجاً" عبد علي حسن، مجلة أقلام، ع١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٩: ١٤٦.
- [١٣] الأدب النسوي، غادة الأحمد، جريدة الاسبوع اليومي، ع١٠٧١، ٢٠٠٧/٩/٨، (مقال منشور في شبكة المعلومات).
- [١٤] النظرية النسوية "مقتطفات مختارة"، ويندي كيه. كولمارو فرانسيس بارنكو فيسكي، تر: عماد إبراهيم، مراجعة: عماد عمر، الاهلية للنشر والتوزيع، الاردن، ط١، ٢٠١٠: ١١، ٩٤، ٦٧، ٦٢.
- [١٥] النسوية والأنثى والأنوثة، رياض عبد الواحد: ترجمة لدراسة توريل موي، مقال منشور في شبكة المعلومات.
- [١٦] النقد النسوي العربي — أنوثة لفظية وخصوصية موهومة، يسرى مقدم، مقال منشور في شبكة المعلومات.
- [١٧] الفكر النسوي يسائل الفلسفة والعلم، ناهدة بدوية، مقال منشور في شبكة المعلومات.
- [١٨] الكتابة بحليب الأم، فخري صالح، مقال منشور في شبكة المعلومات.
- [١٩] دراسات في القصة والرواية، باديس فوغالي، عالم الكتب الحديث، اربد — الاردن، ط١، ١٤٣١هـ — ٢٠١٠م: ٥٩.
- [٢٠] النقد النسوي وتشكيل الوعي، د. سناء شعلان، جريدة الرأي، مقال منشور في شبكة المعلومات.
- [٢١] في الرواية النسوية العربية (ظلال الخطاب)، د. عباس عبد الحليم عباس، مقال منشور في شبكة المعلومات.
- [٢٢] النقد النسوي وبناء المفاهيم المضادة، د. أحمد صبرة، مقال منشور في شبكة المعلومات.
- [٢٣] سقوط المحرمات "ملاحم نسوية عربية في النقد المسرحي"، وطفاء حمادي، دار الساقى، بيروت، ط١، ٢٠٠٨: ٢٢.
- [٢٤] خديجة وسوسن ، رضوى عاشور، دار الهلال، القاهرة، دط، ١٤١٠-١٩٨٩: ٧، ١٤، ١٥-١٦، ١٧، ١٣، ١٧، ٢٧، ٣٣، ٣٣، ٣٧، ٥٥، ٥٥، ٥٨، ٦١، ١٧-٣٠، ١٨، ٣٤.
- [٢٥] قضايا المرأة والفكر والسياسة، نوال السعداوي، عربية للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠٠٦: ٨٩.
- [٢٦] خطاب المرأة النسوية العربية المعاصرة (ثيمات وتقنيات)، د. رفقة محمد دودين، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، (دط)، ٢٠٠٧: ١٧٣.

- [٢٧] الهيمنة الذكورية، بيار بورديو، تر: د. سلمان قعفراني، مراجعة: د. ماهر تريمش، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ط١: ٢٧.
- [٢٨] اللغة والجنس "حريات في الذكورة والانوثة"، د. عيسى برهومة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٢: ٧٩، ٧٩، ٨٥، ١٠٥، ١٠٥، ١٣٠.
- [٢٩] البناء والدلالة في الرواية "مقاربة من منظور سيميائية السرد"، عبد اللطيف محفوظ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٩٢.
- [٣٠] يونغ واللاوعي الجمعي، نوح الحمام، مقال منشور في شبكة المعلومات.
- [٣١] السرد النسوي "الثقافة الابوية، الهوية الانثوية، والجسد"، د. عبد الله ابراهيم، دار الفارس للنشر والتوزيع، الاردن، ط١، ٢٠١١: ١٠٤، ١٠٣.
- [٣٢] عالم غالب هلسا الروائي: سيكولوجيا الحلم كأداة سردية، مهدي نصير، مقال منشور في شبكة الانترنت.
- [٣٣] الـ (جنر) وانتهاك حقوق الانسان في تأصيل المفهوم، د. علي وتوت، ع ٤٨، كلية التربية الاساسية/ جامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٦: ٢٦٨.
- [٣٤] الثقافة الذكورية والمرأة، لطفية الدليمي، الجمعة ٢٢/٩/٢٠١٧، مقال منشور في شبكة الانترنت.
- [٣٥] الثقافة الذكورية وتغيير المجتمع، عواطف عبد الرحمن، جريدة الحياة، ٣ مايو ٢٠١٥: منشور في شبكة الانترنت.
- [٣٦] الثقافة الذكورية في المجتمعات العربية، محمد عبد الستار طُكو، صحيفة ذي المجاز، مقال منشور في شبكة المعلومات.